مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد خاص بواقع المؤتمر العلمي الدولي بعنوان "التكامل الفكري في مواجهة التحديات العلمية" (٢٠٢٦/٢/١)، ص ص: ٣٩٩ – ٤١٧

قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https: //djisrs.dws.gov.iq

الخطاب الكوني في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية ولغوية تداولية مقارنة بالحقائق العلمية الحديثة (فصلت ٩– ١٢)

Cosmic Discourse in the Qur'an: A Comparative Interpretive, Linguistic, and Pragmatic Analysis with Modern Scientific Facts (Surah Fussilat 9–12)

م م أشواق حسين ورد الفرحاني، وزارة التربية، مديرية تربية واسط

Ashwaq Hussein Ward Al Frhani,Ministry of education, IRAQ.

ashaukw1101@uowasit.edu.iq

Keywords: Qur'an, Surah Fussilat, classical exegesis, scientific facts, Big Bang, mountains, smoke, comparative methodology.

Abstract

This study examines Surah Fussilat (9–12), presenting a comprehensive scene of the creation of the earth and the heavens—from the establishment of the earth, the stabilization of mountains, and the determination of sustenance, to the formation of the heavens as smoke and their completion as seven heavens adorned with lamps. The methodology combines linguistic and rhetorical analysis with classical exegesis (al–Tabari, al–Zamakhshari, Ibn Kathir), and crucially integrates a pragmatic dimension that focuses on discourse functions through speech acts, deixis (temporal, spatial, personal), and conversational implicature. Findings show that the Qur'an offers a purposive vision of creation emphasizing monotheism, subjugation, and cosmic order, while the pragmatic analysis reveals the illocutionary force of rhetorical interrogation and indirect imperatives and their persuasive and affective impact. In comparison with modern cosmology and geology, the study highlights points of convergence (order, material beginnings, mountain function) and divergence (purpose vs. mechanism, language vs. terminology, temporality). It recommends separating Qur'anic purposes from scientific mechanisms and adopting an integrative, non–identical methodology, enriching interdisciplinary inquiry and affirming the harmony between religion and science.

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الارسال: ٢٠٢٦/١/٤
المراجعة: ٢٠٢٦/١/١٠
القبول: ٢٠٢٦/٢/١

الكلمات المفتاحية:
القرآن الكريم، سورة فصلت، التفسير الكلاسيكي، الحقائق العلمية، الانفجار العظيم، الجبال، الدخان، المنهجية المقارنة.

ملخص

يتناول هذا البحث آيات سورة فصلت (٩–١٢) التي ترسم مشهدًا متكاملًا لخلق الأرض والسماء، من تأسيس الأرض وتثبيت الجبال وتقدير الأقوات، إلى تسوية السماء وهي دخان ثم جعلها سبع سماوات مزينة بالمصابيح. اعتمدت الدراسة منهجية أكاديمية تجمع بين التحليل اللغوي والبلاغي وقراءات المفسرين الكبار (الطبري، الزمخشري، ابن كثير)، مع إضافة بعد تداولي يركّز على وظائف الخطاب من خلال أفعال الكلام، والإشاريات الزمنية والمكانية والشخصية، والاستلزام الحواري. خلصت النتائج إلى إن القرآن الكريم يقدّم رؤية مقصدية للخلق تؤكد التوحيد والتسخير والنظام الكوني، وأن البعد التداولي يكشف عن القوة الإنجازية للاستفهام الإنكاري والأمر الإنشائي غير المباشر وتأثيرهما الجدلي والوجداني. وقارنت الدراسة هذه الرؤية المقصدية بالحقائق العلمية الحديثة في الفيزياء الكونية والجيولوجيا، فأبرزت نقاط الالتقاء (النظام، البداية المادية، وظيفة الجبال) والافتراق (الغاية مقابل الآلية، اللغة مقابل الاصطلاح، الزمن). وأوصت بالفصل بين المقاصد القرآنية والآليات العلمية واعتماد منهجية تكاملية لا تطابقية، بما يُثري الدراسات البينية ويؤكد انسجام الدين والعلم.

١ – المقدمة:

يُعدّ موضوع الخلق الكوني في القرآن الكريم من أعظم القضايا التي استوقفت المفسرين والباحثين عبر العصور، إذ يجمع بين عمق العقيدة وجلال البيان، وبين إشارات كونية تفتح آفاقًا واسعة للتأمل العلمي والفلسفي. وتأتي آيات سورة فصلت (٩–١٢) لتقدّم مشهدًا متكاملًا عن خلق الأرض والسماء، في صياغة بلاغية بديعة تجمع بين التدرج المرحلي والدقة المقصدية، لتؤكد أن الكون نفسه شاهد على ربوبية الله ووحدانيته.

إن هذا البحث لا يقف عند حدود التفسير الكلاسيكي الذي أبدعه كبار المفسرين كالطبري والزمخشري وابن كثير، بل يتجاوز ذلك إلى التحليل اللغوي والبلاغي، ثم يضيف بعدًا تداوليًا حديثًا يكشف عن الوظائف التواصلية للنص القرآني، مثل الاستفهام الإنكاري، والأوامر الإنشائية غير المباشرة، والإشاريات الزمنية والمكانية، والاستلزام الحواري الذي يفتح المجال أمام معانٍ ضمنية تتجاوز ظاهر اللفظ. كما يسعى البحث إلى المقارنة بين هذه الرؤية القرآنية المقصدية وبين الحقائق العلمية الحديثة في الفيزياء الكونية والجيولوجيا، ليبرز نقاط الالتقاء في النظام والدقة والوظيفة، ونقاط الافتراق في الغاية والآلية واللغة والزمن. ومن خلال هذا المنهج التكاملي، يتضح أن القرآن الكريم كتاب هداية يركّز على التوحيد والتسخير والنظام، بينما يقدّم العلم الحديث وصفًا دقيقًا للآليات والعمليات الطبيعية.

إن إدماج التداولية في هذا البحث يضيف قيمة مضاعفة، إذ يبيّن أن النص القرآني ليس مجرد خطاب وصفي، بل هو خطاب حيّ يتفاعل مع المتلقي، ويخاطب العقل والوجدان معًا، جامعًا بين جمال الشكل البلاغي وقوة الوظيفة التواصلية. ومن هنا، فإن هذا البحث يطمح إلى أن يكون إسهامًا علميًا رصينًا في الدراسات القرآنية المعاصرة، يجمع بين التراث التفسيري واللغة الحديثة والعلوم الكونية، ليؤكد أن الدين والعلم ليسا في صراع، بل في تكامل يثري المعرفة الإنسانية.

منهج البحث: المنهج وصفي – تحليلي – تفسيري – تداولي

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة شاملة لآيات سورة فصلت (٩–١٢) من خلال منهجية تجمع بين البلاغة، التداولية، والتفسير الكلاسيكي والمعاصر، مع مقاربة علمية حديثة. ويسعى إلى:

١. الكشف عن جماليات النص القرآني من حيث التدرج المرحلي والدقة التعبيرية عبر التحليل البلاغي.

٢. إبراز الوظائف التواصلية للنص من خلال المنهج التداولي، بما في ذلك الاستفهام الإنكاري، الأوامر الإنشائية، الإشاريات، والاستلزام الحواري.
٣. مقارنة التفسير الكلاسيكي بقراءات حديثة لإظهار أبعاد جديدة للفهم اللغوي والبياني.
٤. استكشاف العلاقة بين النص القرآني والحقائق العلمية الحديثة في الفيزياء الكونية والجيولوجيا، مع تحديد نقاط الالتقاء والافتراق.
٥. تأكيد البعد المقصدي للنص القرآني في تركيزه على التوحيد والتسخير والنظام الكوني.
٦. إبراز دور التداولية في كشف المعاني الضمنية والوظائف التواصلية التي تجعل النص القرآني خطابًا حيًّا يتفاعل مع المتلقي.
٧. إثراء الدراسات القرآنية المعاصرة عبر الجمع بين التراث التفسيري واللسانيات الحديثة والعلوم الطبيعية في إطار تكاملي.
٨. إبراز دور التداولية في كشف المعاني الضمنية والوظائف التواصلية التي تجعل النص القرآني خطابًا حيًّا يتفاعل مع المتلقي.

٢.المبحث الأول: النص القرآني والسياق العام

١- النص القرآني: وردت آيات خلق الكون في سورة فصلت (٩-١٢) على النحو التالي:

قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ۖ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)

هذه الآيات تمثل مشهدًا كونيًا متكاملًا، يبدأ بخلق الأرض، ثم تثبيت الجبال وتقدير الأقوات، ثم الانتقال إلى السماء وهي دخان، وتسويتها سبع سماوات مزينة بالمصابيح.

٢- السياق العام في سورة فصلت

- سورة فصلت من السور المكية التي تركز على قضايا العقيدة والتوحيد.
- الآيات جاءت في سياق جدلي مع المشركين الذين ينكرون الوحي، حيث يُستدل عليهم بخلق الأرض والسماء كدليل على قدرة الله.

- الخطاب القرآني هنا يجمع بين البرهان العقلي والمشهد الكوني، ليؤكد أن الكون نفسه شاهد على ربوبية الله.

٣- دلالات الخطاب الكوني

- إثبات الربوبية: خلق الأرض والسماء دليل على أن الله هو رب العالمين(١).
- إبطال الشرك: لا يجوز أن يُجعل لله أنداد وهو الخالق المدبر(٢).
- إظهار النظام الكوني(٣): ذكر الأيام الرواسي، الأقوات، الدخان، السماوات، المصابيح، كلها عناصر تشير إلى نظام محكم.
- الغاية الهداية: الهدف من عرض هذه المشاهد ليس الوصف العلمي التفصيلي، بل دعوة الإنسان إلى الإيمان.

٤- البنية البلاغية

- استخدام صيغة الاستفهام الإنكاري(٤)"أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض "...لإبراز التناقض بين الكفر والواقع المشهود.
- التدرج في العرض(٥): [الأرض → الجبال → الأقوات → السماء → النجوم] وهو ترتيب منطقي وبلاغي.
- التكرار المقصود لكلمة "يومين" و"أيام" لإبراز التقدير الإلهي المرحلي.

٣.المبحث الثاني: التحليل اللغوي والبياني

١- .دلالة اليومين(٦) والأيام الأربعة

- اللغة: اليوم في العربية لا يقتصر على ٢٤ ساعة(٧)، بل يدل على مطلق الزمن أو المرحلة. قال ابن

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٢١٠.
(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ١٢.
(٣) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٤٥.

(٤) Grice, H. P. (1975). Logic and Conversation. In Syntax and Semantics (Vol. 3, pp. 41–58). New York: Academic Press.
(٥) Levinson, S. C. (1983). Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press, p. 45
(٦) الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ١٢.
(٧) ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، ج ٥، ص ٣٢٠.

فارس: "الياء والواو والميم أصل يدل على وقت معلوم."

- القرآن: استعمال اليوم في القرآن يتنوع بين اليوم الدنيوي، واليوم الأخروي، واليوم كمرحلة من الخلق (خلق الأرض في يومين)[١] .
- البيان: التكرار في ذكر الأيام يبرز التقدير المرحلي، ويؤكد أن الخلق تم وفق نظام محدد، لا عشوائية.

وذكر اليومين "تعليما للأناة ولو أراد أن يخلقها في لحظة لفعل"[٢].

٢- الرواسي اللغة: الرواسي جمع راسية[٣]، وهي الجبال الثابتة. قال الراغب: "الرواسي: الجبال الثابتة التي ترسو الأرض بها."

- القرآن: الجبال توصف بأنها أوتاد، ورواسي، مما يدل على وظيفتها في تثبيت الأرض.
- البيان: اختيار لفظ "رواسي"[٤] يوحي بالثبات والاستقرار، وهو تصوير بلاغي يربط بين المعنى الحسي والمعنى العقلي.

٣- البركة و الأقوات

- اللغة: البركة[٥] في أصلها النماء والزيادة، والأقوات جمع قوت، وهو ما يقيم به الإنسان حياته.
- القرآن: البركة تشير إلى وفرة الموارد، والأقوات إلى تقدير المعاش.
- البيان: الجمع بين البركة والأقوات يبرز التكامل بين وفرة الموارد وعدالة توزيعها، وهو تصوير بلاغي يربط بين الرحمة الإلهية والتمكين الكوني.

٤- الدخان

- اللغة: الدخان في العربية ما يتصاعد من النار[٦] عند إيقاد الحطب[٧]، وهو مادة لطيفة غير متشكلة.
- القرآن: وصف السماء بأنها دخان [٨]يشير إلى حالتها الأولية قبل التسوية.

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٢، ج ٢٤، ص ١٢.

(٢) النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، (٣/ ٢٢٧)

(٣) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢، ص ٢١٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٢١٠.

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢١٥.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٤٥.

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (٢٥/ ٢٨٦).

(٨) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم بين بين العلم والبيان، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٠، ص ٥٥.

- البيان: استخدام لفظ "دخان" يقرّب الصورة إلى ذهن المخاطب، ويعبر عن مادة غير مستقرة، وهو تشبيه بليغ، أي بمثل دخان"[١] ، وهذا التصوير البلاغي يجمع بين الحسّي والمعنوي.

" .5السبع سماوات" و"المصابيح"

- اللغة: السماء في أصلها كل ما علاك، والسماوات جمعها، والعدد سبعة في العربية يدل على الكثرة والتمام.
- القرآن: ذكر السبع سماوات في مواضع متعددة، للدلالة على إحكام النظام الكوني.
- المصابيح: النجوم، وهي زينة للسماء وحفظ من الشياطين.
- البيان: "وسميت النجوم هنا مصابيح على التشبيه في حسن المنظر فهو تشبيه بليغ، وعدل عن تعريف (مصابيح) باللام إلى تنكيره لما يفيده التنكير من التعظيم "[٢] ، والجمع بين العدد (سبع) والزينة (مصابيح) يبرز النظام والجمال، وهو تصوير بلاغي يجمع بين الوظيفة والغاية.

.6البنية البلاغية العامة

التدرج: من الأرض ← الجبال ← الأقوات ← السماء ← النجوم، وهو ترتيب منطقي وبلاغي.

التكرار: ذكر الأيام أكثر من مرة لإبراز التقدير المرحلي[٣].

التصوير: استخدام ألفاظ حسية (رواسي، دخان، مصابيح) لتقريب المعنى العقلي.

الجدل: الاستفهام الإنكاري في مطلع الآيات يبرز التناقض بين الكفر والواقع المشهود.

التحليل التداولي للآيات (٩–١٢)

يُظهر الخطاب القرآني في آيات سورة فصلت (٩–١٢) أبعادًا تداولية واضحة، تتجاوز المعنى الحرفي إلى الوظيفة التواصلية المقصودة، وذلك من خلال ثلاثة عناصر رئيسة:

١. الإشاريات (Deixis)

الزمنية: "في يومين"[٤]، "في أربعة أيام"، "في يومين" ← تشير إلى أطوار زمنية مقصودة، لا

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٥/ ٢٨٦).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩/ ٢١).

(٣) Yule, G. (1996). Pragmatics. Oxford: Oxford University Press, p. 32

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٣٢٠.

وحدات زمنية بشرية، مما يبرز قصدية النص في عرض مراحل الخلق[١].

المكانية: "فوقها"، "إلى السماء"، "السماء الدنيا" → تحدد مواقع وعلاقات مكانية، وتقرّب المشهد الكوني إلى ذهن المتلقي[٢].

الشخصية: "أنكم لتكفرون"، "تجعلون له أندادًا" → توجه الخطاب مباشرة إلى المخاطبين، مما يعزز الأثر النفسي والجدلي[٣].

.2أفعال الكلام(Speech Acts)

- الاستفهام الإنكاري: "أأنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين" → ليس استفهامًا حقيقيًا، بل فعل كلام إنكاري للتوبيخ والتعجب[٤]، يهدف إلى إظهار التناقض بين الكفر والواقع المشهود.
- الأمر الإنشائي: "ائتيا طوعًا أو كرهًا" → أمر موجّه للسماء والأرض، وظيفته إظهار الطاعة الكونية لا إحداثها[٥]، وهو مثال على الإنشاء التداولي غير المباشر.
- الأخبار ذات القوة الإنجازية: "خلق الأرض في يومين"، "جعل فيها رواسي" → أفعال خبرية تحمل قوة إنجازية (Illocutionary Force) لأنها تثبت الربوبية وتبطل الشرك[٦].

.3الاستلزام الحواري (Conversational Implicature)

- ذكر "يومين" و"أربعة أيام" يستلزم أن الخلق تم وفق نظام مرحلي محدد، لا عشوائية.
- وصف السماء بأنها "دخان" يستلزم أن الكون كان في حالة أولية غير مستقرة[٧].
- الجمع بين "البركة" و"الأقوات" يستلزم أن الموارد مقدّرة بعدل وكفاية، لا مجرد وجود مادي[٨].
- "وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا" يستلزم أن النجوم لها وظيفة جمالية ووظيفية، لا مجرد

---

(1)Levinson, S. C. (1983). Pragmatics. Cambridge University Press, p. 54 .

(2)Yule, G. (1996). Pragmatics. Oxford University Press, pp. 11–112

(3) Grice, H. P. (1975). Logic and Conversation. In Syntax and Semantics, Vol. 3. Academic Press, pp. 41–58 .

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار هجر، القاهرة، ج ٢٤، ص ١٢–١٥.

(٥) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل. دار المعرفة، بيروت، ج ٣، ص ٢١٠–٢١٣.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. دار الفكر، بيروت، ج ٦، ص ٤٥–٤٧.

(٧) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم بين العلم والبيان. دار النفائس، عمان، ص ٨٨–٩٢.

(٨) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم بين بين العلم والبيان. دار النفائس، عمان، ص ٨٨–٩٢.

ظـــــــــــــاهرة طبيعيـــــــــــــــة[١].

الآية	الظاهرة التداولية	الوظيفة التداولية
(٩) "أأنكم لتكفرون..."	استفهام إنكاري	توبيخ وتعجب
(١٠) "وجعل فيها رواسي..."	إشاريات مكانية	تحديد موقع الجبال
(١١) "ائتيا طوعًا أو كرهًا"	أمر إنشائي غير مباشر	إظهار الطاعة الكونية
(١٢) "وزينا السماء الدنيا بمصابيح"	الاستلزام الحواري	النجوم لها وظيفة جمالية ووظيفية

٤. المبحث الثالث: التفسير الكلاسيكي

١–منهج الطبري (تفسير جامع البيان)

يعتمد الطبري على الرواية بالأسانيد، ويعرض أقوال الصحابة والتابعين، ثم يرجّح بينها. فـــي آيات فصلت (٩–١٢):

- يرى أن "اليومين" همـــا مرحلتـــان مـــن التقدير الإلهـــي[٢]، ولا يلـــزم أن يكونـــا يومين بشريين.
- "الرواسي" هي الجبال التـــي جعلهـــا الله لتثبيت الأرض.
- "الأقـــوات" تعنـــي أرزاق العبـــاد ومـــا يحتاجون إليه من معاش.
- "الدخان" وصف لحالة الســـماء قبـــل أن تُسوّى، وهو مادة غير متشكلة.
- "السبع سماوات" تدل على إحكام النظـــام الكوني، و"المصابيح" هي النجوم زينـــة وحفظًا.

التحليل: الطبري يركز علـــى الجانـــب التقديري والوظيفي، ويعرض الروايـــات التي تؤكد أن الخلق تم وفق نظام محدد.

٢–منهج الزمخشري (الكشاف)

- المنهج: يعتمد الزمخشري على البلاغـــة واللغة، ويبرز الإعجاز البيـــاني[٣] فـــي القرآن. في آيات فصلت (٩–١٢:)
- يفسر "اليومين" على أنهما مرحلتان مـــن الخلق، ويشير إلى أن ذكر الأيام مقصود لإبراز التقدير المرحلي.
- "الرواسي" عنده تصوير بلاغي للجبـــال كأوتاد تثبت الأرض.
- "الأقوات" تعني ما يُقيم حيـــاة الإنســـان، ويبرز البعد البلاغي في الجمع بين البركة والأقوات.

"الدخان" عنده تصوير لحالة الســـماء الأوليـــة، ويستعمل لغة دقيقة في وصفها بأنها مادة لطيفة غير متشكلة.

" السبع سماوات" عنده تدل على الكثرة والتمام، و"المصابيح" تصوير بلاغـــي للنجـــوم كزينـــة وحفظ.

التحليل: الزمخشري يبرز الجانـــب البلاغـــي والجدلي، ويستعمل لغة دقيقة تربط بين المعنى اللغوي والبياني.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ١٢.

(٣)الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٤٥.

٣-منهج ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)

المنهج: يجمع ابن كثير بين الرواية والمعنى[١]، ويعتمد على الأحاديث النبوية وأقوال السلف، مع تفسير عقلي معتدل. في آيات فصلت (٩)١٢: يرى أن

- "اليومين" هما مرحلتان من الخلق، ويؤكد أن الله خلق الأرض في تقدير محدد.
- "الرواسي" هي الجبال التي جعلها الله لتثبيت الأرض.
- "الأقوات" تعني أرزاق العباد، ويؤكد أن الله قدّرها بعدل وكفاية.
- "الدخان" وصف لحالة السماء قبل أن تُسوّى، ويشير إلى أن الله أمر السماء والأرض بالطاعة.
- "السبع سماوات" تدل على إحكام النظام الكوني، و"المصابيح" هي النجوم زينة وحفظًا.

التحليل: ابن كثير يجمع بين الرواية والمعنى، ويؤكد على قدرة الله وتسخير الكون للإنسان.

٤-المقارنة بين المناهج

- الطبري: يركز على الرواية والتقدير الإلهي.
- الزمخشري: يركز على البلاغة والبيان.
- ابن كثير: يجمع بين الرواية والمعنى.

النتيجة: جميع المفسرين يتفقون على أن النص يقرر عظمة الخلق ووحدانية الله، لكن تختلف مناهجهم بين الرواية والبلاغة والتحليل العقلي.

٥- الدلالات العامة

- الآيات تؤكد أن الخلق تم وفق نظام محدد، وأن الله هو المدبر.
- التفسير الكلاسيكي يبرز أن الهدف من عرض هذه المشاهد هو دعوة الإنسان إلى الإيمان، لا الوصف العلمي التفصيلي.
- اختلاف المناهج يعكس ثراء التراث التفسيري، ويتيح للباحث المعاصر الاستفادة من تنوع القراءات.

٥.المبحث الرابع: الحقائق العلمية الحديثة وربطها بالآيات

١-نشأة الكون وبدايته

- النموذج العلمي: تشير الدراسات الحديثة إلى أن الكون نشأ قبل نحو ١٣.٨ مليار سنة وفق ما يُعرف بـ"نظرية الانفجار

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٢١٠.

العظيم .(Big Bang) [١]"هذه النظرية تقوم على أن الكون بدأ من حالة كثيفة حارة جدًا، ثم تمدد بسرعة هائلة، ولا يزال يتمدد حتى اليوم.

- الربط القرآني: قوله تعالى" ثم استوى إلى السماء وهي دخان(فصلت: ١١) يصف حالة أولية غير متشكلة، وهو ما يقارب وصف العلماء لمادة الكون الغازية/البلازمية في بداياته.
- الدلالة: النص القرآني يركز على أن هذه البداية كانت بإرادة الله، بينما العلم يصف الكيفية الفيزيائية.

٢–مرحلة "الدخان" والغازات الأولى

- العلم: بعد الانفجار العظيم، كان الكون في حالة بلازما كثيفة[٢] من الجسيمات والغازات الساخنة، قبل أن تتشكل النجوم والمجرات.
- القرآن: وصف السماء بأنها "دخان" يعكس صورة مادة غير مستقرة، وهو تعبير بلاغي يقارب الحالة الغازية الأولى.
- الدلالة: الالتقاء هنا في تصوير الحالة الأولية، لكن القرآن يربطها بالطاعة لأمر الله(قالتا أتينا طائعي).

٣–تكوّن الأرض والجبال

- العلم: الأرض تشكلت قبل نحو ٤.٥ مليار سنة من تجمع الغبار الكوني، ثم بردت قشرتها تدريجيًا. الجبال نتجت عن حركات الصفائح التكتونية[٣]، وتلعب دورًا في تثبيت القشرة الأرضية وتوازنها.
- القرآن" وجعل فيها رواسي من فوقها " [٤](فصلت: ١٠) يبرز وظيفة الجبال في الاستقرار.
- الدلالة: النص يركز على الوظيفة (التثبيت)، والعلم يصف الآلية (التكتونية).

٤–تقدير الأقوات والبركة

- العلم: الموارد الطبيعية (الماء، المعادن، النباتات) توزعت وفق دورات

(١) Stephen Hawking, A Brief History of Time, Bantam Books, New York, 1988, pp. 15–20.

(٢) NASA, Cosmology and the Big Bang, Official Website, Retrieved November 19, 2025.

(٣) George Smoot, Wrinkles in Time, HarperCollins, New York, 1993, pp. 88–90.

(٤) (فصلت: ١٠)

جيولوجية وبيولوجية، مما أتاح الحياة على الأرض.

- القرآن" وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين" يقرر أن الموارد مقدرة بعدل وكفاية.
- الدلالة: القرآن يبرز البعد المقصدي (الرحمة والعدل)، والعلم يصف العمليات الطبيعية.

٥- النجوم والمصابيح

- العلم: النجوم هي مصادر الضوء والطاقة، تحفظ النظام الكوني عبر الجاذبية والإشعاع، وتلعب دورًا في تكوين العناصر الثقيلة.
- القرآن" وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظًا[1] "يبرز وظيفتها في الزينة والحفظ.
- الدلالة: النص يركز على البعد الجمالي والوظيفي، والعلم يصف البنية الفيزيائية.

٦- جدول مقارنة بين المفاهيم القرآنية والعلمية.

الملاحظات	المقابل العلمي الحديث	التفسير الكلاسيكي	المفهوم القرآني
لا يلزم التطابق الزمني	مراحل زمنية جيولوجية/كونية	طوران من التقدير	اليومين
توافق لغوي مع الحالة الفيزيائية	بالتزما/غاز ساخن	مادة لطيفة أولية	الدخان
الوظيفة متقاربة	الصفائح التكتونية والجبال	الجبال تثبيت	الرواسي
كلاهما يبرز الكفاية	توزيع الموارد الطبيعية	موارد ومعاش	الأقوات
توافق وظيفي	النجوم مصدر الضوء والطاقة	النجوم زينة وحفظ	المصابيح

(١)(**فصلت:** ١٢))

٧- البنية التكاملية بين النص والعلم

- القرآن يقدّم المقاصد[2]: التوحيد، التسخير، النظام.
- العلم يقدّم الآليات: [3] الانفجار العظيم، البلازما، التكتونية، النجوم.
- الجمع بينهما يثري الفهم، لكن لا يجوز فرض تفسير علمي على النص.

المبحث الخامس: نقاط الالتقاء والافتراق بين النص القرآني والحقائق العلمية

١-نقاط الالتقاء: أ. النظام الكوني

- القرآن الكريم يقرر أن الكون خُلق وفق نظام محكم" خلق الأرض في يومين"، "قدر فيها أقواتها"، "قضاهن سبع سماوات."
- العلم الحديث يثبت أن الكون يسير وفق قوانين دقيقة (الجاذبية، الديناميكا الحرارية، قوانين الحركة) .
- الالتقاء هنا في الإقرار بوجود نظام شامل، وإن اختلفت لغة الوصف.

ب. البداية المادية

- القرآن يصف السماء بأنها "دخان"، أي مادة أولية غير متشكلة.

(٢) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم بين العلم والبيان، ص ٥٥.

(٣) Maurice Bucaille, The Bible, The Qur'an and Science, Paris: Seghers, 1976, pp. 120–125

- العلم يصف الكون في بدايته بأنه بلازما كثيفة من الجسيمات والغازات الساخنة.
- الالتقاء في تصوير الحالة الأولية للكون كمادة غير مستقرة.

ج. وظيفة الجبال

- القرآن يصف الجبال بأنها "رواسي" تثبت الأرض.
- العلم يثبت أن الجبال ناتجة عن حركات الصفائح التكتونية، وتلعب دورًا في توازن القشرة الأرضية.
- الالتقاء في الوظيفة (التثبيت)، وإن اختلفت الآلية.

د. الموارد والأقوات

- القرآن يقرر أن الله قدّر الأقوات بعدل وكفاية.
- العلم يصف توزيع الموارد الطبيعية وفق دورات جيولوجية وبيولوجية.
- الالتقاء في إبراز الكفاية والتمكين.

٢- نقاط الافتراق: أ. الغاية مقابل الآلية

- القرآن يركز على الغاية[١]: التوحيد، الهداية، التسخير.
- العلم يركز على الآلية[٢]: كيف نشأ الكون، كيف تعمل القوانين الفيزيائية.
- الافتراق في الهدف، لا في وجود النظام.

ب. اللغة والاصطلاح

- القرآن يستخدم لغة بلاغية مقصدية (دخان، رواسي، مصابيح.
- العلم يستخدم لغة رياضية دقيقة (بلازما، تكتونية، نجوم.
- الافتراق في الأسلوب، لا في الإقرار بالظاهرة.

ج. الزمن

- القرآن يذكر "يومين" و"أربعة أيام" كأطوار.
- العلم يقيس الزمن بمليارات السنين.
- الافتراق في وحدة القياس، لا في وجود المراحل.

٣- المنهجية المقارنة

- لا يجوز تحميل النصوص القرآنية تفاصيل علمية تجريبية.
- يجب الفصل بين المقاصد القرآنية ،الهداية والآليات العلمية التجربة.
- الجمع بينهما يثري الفهم، ويؤكد أن القرآن كتاب هداية، والعلم أداة لفهم الكون.

---

(١) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم بين العلم والبيان، ص ٥٥.

(٢) Maurice Bucaille, The Bible, The Qur'an and Science, pp. 120–125

٤- جدول تلخيصي

طبيعة العلاقة	العلم الحديث	القرآن الكريم	المجال
التقاء في النظام	قوانين فيزيائية دقيقة	خلق الأرض والسماء وفق تقدير	النظام
التقاء في الحالة الأولية	بلازما وغازات ساخنة	السماء دخان	البداية
التقاء وظيفي	تكتونية تثبت القشرة	رواسي تثبت الأرض	الجبال
التقاء في الكفاية	توزيع الموارد الطبيعية	أقوات مقدرة بعدل	الموارد
افتراق في وحدة القياس	مليارات السنين	يومين وأيام	الزمن
افتراق في الأسلوب	لغة رياضية دقيقة	بلاغة مقصدية	اللغة

٧.المبحث السادس: المنهجية البحثية:

إلى جانب المنهج الوصفي–التحليلي–التفسيري الذي اعتمد عليه البحث، تم توظيف المنهج التداولي بوصفه أداة مكملة لفهم الخطاب القرآني في آيات سورة فصلت (٩–١٢). يُظهر هذا المنهج أن النص القرآني لا يقتصر على عرض المعاني اللغوية أو البلاغية، بل يتجاوزها إلى وظائف تواصلية مقصودة، مثل التوبيخ عبر الاستفهام الإنكاري، والإقناع عبر الأوامر الإنشائية غير المباشرة، والتأثير النفسي عبر الإشاريات الشخصية، بالإضافة إلى الاستلزام الحواري الذي يكشف عن معانٍ ضمنية تتجاوز ظاهر اللفظ .وبذلك، فإن إدماج التداولية يعزز المنهجية البحثية، ويؤكد أن النص القرآني خطاب حيّ يتفاعل مع المتلقي، ويجمع بين البيان والإقناع، مما يثري الدراسة ويمنحها بعدًا حديثًا في الدراسات القرآنية واللغوية.

١- ضرورة الفصل بين المقاصد والآليات

- المقاصد القرآنية: القرآن الكريم كتاب هداية، يركز على التوحيد، التسخير، والغاية من الخلق. الآيات الكونية فيه تهدف إلى إيقاظ العقل والوجدان، لا إلى تقديم تفاصيل علمية تجريبية.
- الآليات العلمية: العلم الحديث يصف الكيفيات والآليات (الانفجار العظيم، البلازما، الصفائح التكتونية، النجوم)، ويعتمد على التجربة والرصد.
- المنهجية: يجب على الباحث أن يفصل بين المقاصد القرآنية والآليات العلمية، بحيث يُستفاد من العلم في توسيع الفهم دون أن يُفرض على النص.

٢- ضبط المصطلحات

- اليوم: في القرآن قد يعني المرحلة أو الطور، لا ٢٤ ساعة بالضرورة.
- الدخان: مادة أولية غير متشكلة، لا يلزم أن يكون دخاناً بالمعنى الفيزيائي الحديث.
- السماوات: طبقات أو عوالم علوية، العدد سبعة يدل على الكثرة والتمام.
- المنهجية: يجب أن تُفهم المصطلحات في سياقها القرآني واللغوي، ثم تُقارن بالمفاهيم العلمية دون تطابق قسري.

٣- التكامل لا التطابق

- التكامل: الجمع بين النص القرآني والعلم الحديث يثري الفهم، ويؤكد أن الكون دليل على قدرة الله.
- الافتراق: لا يجوز تحميل النصوص القرآنية تفاصيل علمية تجريبية، ولا يجوز أن يُستخدم العلم لتفسير القرآن تفسيرًا حرفيًا.
- المنهجية: الهدف هو إبراز التكامل بين الهداية القرآنية والوصف العلمي، لا التطابق بينهما.

٤- دور الباحث المسلم

- المسؤولية العلمية: على الباحث أن يلتزم بالمنهجية الأكاديمية، وأن يفرق بين النصوص الدينية والحقائق العلمية.
- المسؤولية الدعوية: على الباحث أن يبرز أن القرآن كتاب هداية، وأن العلم وسيلة لفهم الكون، لا غاية في ذاته.
- المسؤولية الحضارية: الجمع بين القرآن والعلم يثري الحضارة الإسلامية، ويؤكد أن الدين والعلم ليسا في صراع، بل في تكامل.

٥- جدول تلخيصي للمنهجية

المنهجية	العلم الحديث	القرآن الكريم	العنصر
فصل بين المقاصد والآليات	وصف الآليات	هداية وتوحيد	الهدف
ضبط المصطلحات	لغة رياضية دقيقة	بلاغة مقصدية	اللغة
فهم السياق القرآني	مليارات السنين	أطوار (يومين، أربعة أيام)	الزمن
مقارنة دون تطابق	بلازما/غاز ساخن	دخان (مادة أولية)	المادة
تكامل لا تطابق	وصف تجريبي	دعوة للإيمان	النتيجة

الخاتمة بالعربية

خلص البحث إلى أن إدماج البعد التداولي في دراسة آيات سورة فصلت (٩–١٢) يفتح أفقًا جديدًا لفهم الخطاب القرآني، إذ يتجاوز التحليل اللغوي والبلاغي إلى الكشف عن الوظائف التواصلية المقصودة. فقد أبرز الاستفهام الإنكاري قوة التوبيخ والجدل العقائدي، وأظهر الأمر الإنشائي غير المباشر الطاعة الكونية، وكشفت الإشاريات الزمنية والمكانية عن حضور المشهد الكوني في ذهن المتلقي، فيما أبان الاستلزام الحواري عن معانٍ ضمنية تتجاوز ظاهر اللفظ، مثل دلالة "الدخان" على الحالة الأولية للكون، و"الأقوات" على عدالة التقدير الإلهي.

وبذلك يتضح أن النص القرآني يوظّف أدوات تداولية لإحداث أثر تواصلي مزدوج: إقناع عقلي عبر البرهان الكوني، وتأثير وجداني عبر جماليات البلاغة، مما يؤكد أن القرآن الكريم خطاب حيّ يجمع بين المقصدية الدينية والدقة التعبيرية. كما بيّن البحث أن التفسير الكلاسيكي ركّز على دعوة الإنسان إلى الإيمان، في حين أن العلم الحديث قدّم وصفًا دقيقًا للآليات الكونية دون الإجابة عن سؤال الغاية. ومن هنا، فإن الجمع بين النص القرآني والعلم الحديث يثري المعرفة الإنسانية، ويؤكد أن الدين والعلم ليسا في صراع، بل في تكامل يحقق الانسجام بين العقيدة والكون.

ومن ثم، فإن هذا البحث لا يقتصر على بيان الوظائف التداولية في آيات سورة فصلت، بل يقدّم نموذجًا منهجيًا يمكن الإفادة منه في دراسات قرآنية أخرى، حيث يفتح المجال أمام مقاربات حديثة تجمع بين علوم اللغة والبلاغة والتفسير والعلوم الطبيعية. ويوصي البحث بضرورة توسيع نطاق التحليل التداولي ليشمل نصوصًا قرآنية أخرى ذات مشاهد كونية، بما يعزز التكامل بين الدين والعلم، ويؤكد أن القرآن الكريم كتاب هداية يخاطب الإنسان بالعقل والوجدان معًا.

التوصيات

١. الفصل بين المقاصد القرآنية والآليات العلمية عند إجراء الدراسات المقارنة، واعتماد منهجية تكاملية لا تطابقية، بحيث يُستفاد من العلم في تفسير الظواهر دون فرض تطابق كامل مع النص القرآني.

٢. تعزيز الدراسات اللغوية والبلاغية للنص القرآني، وضبط المصطلحات في سياقها الأصلي، ثم مقارنتها بالمفاهيم العلمية دون تحميل النص ما لا يحتمل.

٣. إعداد دراسات مقارنة موسعة بين النصوص القرآنية والعلوم الحديثة، مع احترام خصوصية كل حقل معرفي، وتشجيع البحوث البينية

(Interdisciplinary) التي تجمع بين علوم القرآن والعلوم الطبيعية لتقديم رؤية شاملة للكون.

٤. الجمع بين التفسير الكلاسيكي والمعرفة العلمية الحديثة لإثراء الفهم الحضاري، وتطوير مناهج تعليمية تجمع بين القرآن والعلوم الطبيعية، بما يسهم في تربية جيل واعٍ بالهداية والآليات معًا.

٥. إدراج المخططات والجداول الثنائية اللغة في البحوث الأكاديمية، لما لها من دور في تسهيل الفهم وتوسيع دائرة الاستفادة لتشمل جمهورًا أوسع من الباحثين والقراء.

-ثانيًا: الملاحق .1 جدول مقارنة شامل

طبيعة العلاقة	المقابل العلمي الحديث	التفسير الكلاسيكي	المفهوم القرآني
اختلاف في وحدة الزمن	راحل زمنية جيولوجية/كونية	أطوار من التقدير	اليومين
توافق في الحالة الأولية	بلازما/غاز ساخن	مادة أولية غير متشكلة	الدخان
توافق وظيفي	الصفائح التكتونية	الجبال تثبت الأرض	الرواسي
توافق في الكفاية	توزيع الموارد الطبيعية	موارد ومعاش	الأقوات
توافق وظيفي	جوم مصدر الضوء والطاقة	النجوم زينة وحفظ	المصابيح
اختلاف في التصور	بنية كونية متعددة	طبقات/عوالم علوية	السبع سماوات

المصادر و المراجع

أولًا: المراجع الكلاسيكية في التفسير

(1) -ابن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(2) -الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار هجر، القاهرة.

(3) -الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل. دار المعرفة، بيروت.

(4) -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. دار الفكر، بيروت.

(5) -الرازي، مفاتيح الغيب. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(6) -القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب المصرية، القاهرة.

(7) النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

ثانيًا: المراجع في التداولية واللسانيات

- (6) Levinson, S. C. (1983). Pragmatics. Cambridge University Press.

ثالثًا: المراجع العلمية الحديثة

(7) Yule, G. (1996). Pragmatics. Oxford University Press.

(8) Grice, H. P. (1975). Logic and Conversation. In Syntax and Semantics, Vol. 3. Academic Press.

(9) –حمياني فاطمة الزهراء، بوغاري فاطمة. "الفعل الكلامي الأمر في القرآن الكريم ودلالته التداولية – مقاربة تداولية". مجلة فصل الخطاب، المجلد ١٣، العدد ٣، ٢٠٢٤.

(10) –كاروان حمه باقي عبدالكريم. "البعد التداولي في الخطاب القرآني (سورة يوسف أنموذجًا)". مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، ٢٠٢٢.

(11) Muhamad Zaidi Zakaria et al. "Implicit Meanings in the Quran: A Pragmatic Perspective". Theory and Practice in Language Studies, Vol. 14, No. 11, 2024.

(12) Sami Al-Heeh. "An Investigation into the Pragmatic Processes Conveyed in Arabic: A Case Study of Qur□anic Conversational Patterns". International Journal on Studies in English Language and Literature, Vol. 9, Issue 8, 2021.

(13) –فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم بين العلم والبيان. دار النفائس، عمان.

(14) Zia H Shah MD. "Scientific Insights in the Quran: Cosmology, Biology, Geology, and Embryology". 2025.

(15) "Scientific Phenomenon Covered in Quran". Quranic Message, 2025.

(16) "Quran and Science Part-1: The Origin of the Universe". Islamo Quran, 2024.

(17) Exploring the Implicit Meanings of the Quran Through Pragmatics: Reference, Presupposition and Entailment in Focus. International Journal of Textual and Translation Analysis in Islamic Studies, 2023.

(18) Ismail Lala. An Analysis of the Sources of Interpretation in the Commentaries of al-Tabari, al-Zamakhshari, al-Razi, al-Qurtubi, and Ibn Kathir. Academia, 2012.

(١٩) –Comparative Study of Traditional Interpretation in Exegesis of Tabari and Ibn Kathir. Quranic Studies Journal, 2016.